مجلة بحوث
المدينة المنورة
ودراساتها
العدد ٤٧
العدد الأول لعام ١٤٤٠ هـ / ٢٠١٨ م

- عودة الحجاج المغاربة من مكة المكرمة وإجراءات الوقاية على متن السفينة ضد عدوى الجدري.
- التعليم في عصر الخلفاء الراشدين (مراحله، وطرقه، وأساليبه).
- العمارة العثمانية لمسجد قباء خلال عهد السلطان محمود الثاني.
- تحصينات المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ.

مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة
أسسه الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز - يرحمه الله - عام ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م
Al-Madinah Al-Munawwarah Research & Studies Center

تحصـــــــــــينات المدينـــة المنـــورة بين العمـارة والتاريـخ

إعداد:

فـــؤاد بـــن ضـــيف الله المغامســـــــــــي

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المقدمة :

إن الطبيعة الجغرافية للمدينة المنورة ساعدت على تكوين تحصين طبيعي، فالمدينة المنورة محاطة بسلسة من الجبال والحرات جعلت منها موقعاً حصيناً يصعب على أي مغير اقتحامه(١)، وأصبحت من أهم المعالم الجغرافية التي تميزت بها المدينة المنورة(٢)، ومن أسماء المدينة الدرع الحصينة فقد روي عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت كأني في درع حصينة، ورأيت بقرا منحرة، فأولت أن الدرع الحصينة المدينة، وأن البقر نفر، والله خير»(٣)، والله سبحانه وتعالى حمى المدينة بوجود الحرات فقد ورد في حديث الهجرة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «إني أريت دار هجرتكم، ذات نخل بين لابتين»(٤)، كما

(١) المدينة المنورة أول بلدة في بلاد الإسلام، صدقة خاشقجي ومحمد النمر، (جدة: مطابع سحر)، ج١، ص١٢٨.

(٢) انظر: معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ، عبدالعزيز كعكي، ج١، المعالم الطبيعية، المجلد الأول الجبال، ص ٢٦.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، رقم الحديث (١٤٧٨٧)، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ج ٢٣. ص٩٩

(٤) صحيح البخاري، باب هجرة الحبشة ، رقم الحديث ٣٩٠٥، الناشر دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ ، ج٥، ص٥٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

حماها بطوق من الجبال التي أحاطتها من جميع جهاتها، وفي غزوة الخندق التي كانت في السنة الخامسة للهجرة[١] وأحداثها التي تؤكد دور الحرار في حماية المدينة فقد كانت حاجزاً طبيعياً يمنع دخول المشركين إلى المدينة وقد اكتفى النبي ﷺ بإقامة الخندق في شمال المدينة فقط، حيث تم ربط طرفيها الشرقي الغربي، وتركت الحرتان الشرقية والغربية المعروفتان بالحرة. حرة واقم والوبرة على طبيعتهما الوعرة التي كانت بمثابة الحصن الحصين لمنع أي اعتداء أو إغارة على المدينة المنورة من تلك الجهة حيث لا تستطيع الخيل والإبل السير فيها[٢].

ولهذه التحصينات ارتباط بالعديد من الأحداث التاريخية على مر العصور، وظلت قائمة حصينة ومنيعة، فالجبال والأودية والحرار هي جزء من تكوينها الجيولوجي بل وتعتبر منطقة المدينة المنورة جزء من الدرع العربي الذي يتكون من حجر الأساس وهي صخور متنوعة

(١) كتاب المغازي للواقدي، محمد بن عمر بن واقد، تحقيق مرسدن جونس، ط١، (بيروت: عالم الكتاب للطباعة والنشر، ١٤٢٧هـ)، ص٣٢٠.

(٢) انظر، معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ، عبدالعزيز كعكي، ج١، المعالم الطبيعية، المجلد الثاني الحرات والأودية، ص٤٤٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

"رمل، بازلت، حصاء، رخام، جرانيت" تعرضت إلى ضغوط وحرارة عالية نتيجة للحركات الأرضية مكونة طبيعة جغرافية حصينة (١).

فمن خلال هذه التحصينات الطبيعية انشئت القلاع والحصون والأسوار والسدود والدفاعات للحماية وفق جغرافية المدينة، التي على مرّ التاريخ حرصت تلك العهود السابقة على الاهتمام بهذه الدفاعات كمنطقة تحصينات إضافية مستثمرين التكوين الجغرافي وظل ذلك حتى دخلت المدينة المنورة عام ١٣٤٤هـ في ظل كيان مملكة التوحيد والنهضة والبناء المملكة العربية السعودية ومنذ هذا التاريخ أخذت الملامح الدفاعية التي انشئت على تحصيناتها الطبيعية تتلاشى فلا حاجة لها من الناحية الأمنية، فالتمدد العمراني والتطور الحضاري المطرد أذاب كثيراً من تلك الملامح وأصبحت القلاع والحصون متناثرة داخل أحيائها أو على سفوح الجبال تحظى بعناية الجهات المعنية كالهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني وغيرها على أنها معالم أثرية، واثر معماري تاريخي ودون الحاجة لها كتحصين كما في تلك العهود.

(١) جوانب من الشخصية الجغرافية للمدينة المنورة، محمد احمد الرويثي، الغرفة التجارية الصناعية بالمدينة المنورة، ط٢، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص٢٧

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وللحديث عن تحصينات المدينة المنورة لابد من تسليط الضوء على نوعين:

الأول: التحصينات الطبيعية.

الثاني: التحصينات العسكرية.

***

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث الأول:
الجبال والقلاع

أولاً: الجبال:

إن التحصينات الطبيعية التي تميزت بها المدينة المنورة هي جزء من السيرة المكانية ذات العلاقة الزمانية فقد كانت موقعاً لأحداث تاريخية وما زالت، لذلك يذكر أحد المتخصصين: "أن المطلع على موقع المدينة المنورة جواً أو عن طريق المصورات الجوية يجد عشرات بل مئات الجبال التي تحيط بالمدينة المنورة وتحاصرها من كل جهاتها، وتنتمي أغلب هذه التكوينات الجبلية إلى مجموعة جبال الدرع، والتي يتكون كثير من جبالها من الصخور الكتيمة الصلبة"(١).

ولجبال المدينة المنورة وحراتها مكانة في السيرة النبوية، فقد كانت حدوداً للمدينة المنورة وجعل ما بينها حرام، فعن علي ابن أبي طالب ﷺ قال: ما عندنا كتاب نقرأه إلا كتاب الله غير هذه الصحيفة، قال: فأخرجها، فإذا فيها أشياء من الجراحات وأسنان الإبل، قال: وفيها:

(١) المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ، عبدالعزيز كعكي، ج١، المعالم الطبيعية، المجلد الأول الجبال، ص ٢٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

«المدينة حرم ما بين عير إلى ثور...»[١]، ومن أهم المعالم الجغرافية الجبلية في المدينة المنورة جبل أحد فعن أنس بن مالك ﷺ، أن النبي ﷺ، قال: «هذا جبل يحبنا ونحبه»[٢]، فالإطار الجبلي أقرب ما يكون إلى المدينة من الشمال والجنوب، حيث يظهر جبل أحد من أهم مظاهر التضاريس من جهة الشمال ويمتد بطول ستة كيلو مترات ونصف، ويبعد عن قلب المدينة بمسافة خمسة كيلو مترات ونصف تقريبا[٣]، ويصل ارتفاعه إلى ثلاثمائة وخمسين متراً عن منسوب الواحة التي يقع فيها ويحيط هذا الجبل مجموعة من الجبيلات الصغيرة أهمها جبل عينين، من الجنوب وجبل ضليع البري من الغرب، وجبل ثور من الشمال[٤]، لذلك يعدّ جبل أحد داخل حدود المدينة المنورة.

أمّا في الجهة الجنوبية للمدينة فيظهر جبل عير الوارد في الحديث كأهمّ المعالم الطبيعية المميزة للمدينة في تلك الجهة، ويمتد هذا الجبل على مسافة خمسة كيلومترات ونصف تقريباً، ويبعد عن المسجد النبوي

(١) صحيح البخاري، باب إثم من تبرأ من مواليه، رقم الحديث ٦٧٥٥، ج٨، ص١٥٤.

(٢) صحيح البخاري، باب أحد يحبنا ونحبه، رقم الحديث ٤٠٨٣، ج٥، ص١٠٣.

(٣) المدينة المنورة، اقتصاديات المكان السكان، ص٥٧.

(٤) معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ، عبدالعزيز كعكي، ج١، ص ٢٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الشريف بثمانية كيلوا مترات، و يتناثر الكثير من الجبال في المدينة المنورة سواءً داخل الحدود السكانية أو محيطة منها، فمن الجبال التي داخل حدود الحرم هي: جبل أحد، جبل الرماة أو جبل عينين، جبل تيأب أو جبل الخزان(١)، جبل الراية أو جبل ذباب(٢)، جبل ثنية الوداع(٣)، جبل سلع، جبل سليع(٤)، جبل عير، الجماوات الثلاثة (جماء تضارع،

(١) جبل تيأب: يقع في شمال شرق المدينة، وهو جبل صغير محاذياً لجبل أحد من الجهة الشرقية، ويعرف اليوم بجبل الخزان نسبة إلى الخزانات التي أقامتها مصلحة المياه على هذا الجبل؛ معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ المعالم الطبيعية، المجلد الأول الجبال، ص٢٥٨.

(٢) جبل الراية: يقع في شمال ثنية الوداع وثنية الوداع إلى عهد قريب عبارة عن جبل صغير في شمال المدينة المنورة تبعد عن المسجد النبوي بمقدار كيلو متر واحد، ويبعد الجبل عن الثنية بـ ٤٠٠ متر تقريباً، ويعتبر الجبل احد المعالم المهمة في أحداث غزوة الخندق؛ معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ المعالم الطبيعية، المجلد الأول الجبال، ص٢٥٨.

(٣) جبل ثنية الوداع: تقع في الجهة الشمالية من المسجد النبوي وهي بين مسجد الراية الذي على جبل ذباب ومشهد النفس الزكية، وأما اليوم فقد ازيل جبل الثنية بالكامل وموضعه الآن في الزاوية بين شارع عثمان بن عفان المعروف بطريق العيون، وبين طريق أبي بكر الصديق المعروف بطريق سلطانة، وهو احد المعالم الجغرافية التاريخية؛ معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ المعالم الطبيعية، المجلد الأول الجبال، ص٢٧٨-٢٨١.

(٤) جبل سليع: يقع في الجهة الغربية من المسجد النبوي على مسافة مائتي متر تقريباً وهو الجبل الصغير بجوار سلع المجاور لمكتبة الملك عبدالعزيز وقد أزيل بالكامل ضمن مشروع توسعة خادم الحرمين الشريفين الكبرى وقد وقفت على موقعه بعد الإزالة؛ معالم المدينة المنورة =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أم خالد، عاقر)[١] جبل الحرم أو الجبل الأحمر فالجبال المحيطة في المدينة المنورة كثيرة جداً حتى أنه يصعب الأمر في إحصائها وتحديها[٢].

جبل سلع:

يقع جبل سلع غربي المسجد النبوي على بعد خمسمائة متر تقريبًا من سوره الغربي، يبلغ طوله كيلاً واحداً تقريبًا، وارتفاعه ٨٠ متراً، وعرضه ما بين ٣٠٠ ـ ٨٠٠ متراً، ويمتد من الشمال إلى الجنوب وتتفرع منه أجزاء في وسطه على شكل أجنحة قصيرة باتجاه الشرق والغرب.

=

بين العمارة والتاريخ المعالم الطبيعية، المجلد الأول الجبال، ص٣٣٢.

(١) الجماوات الثلاثة: تعدّ الجماوات من أشهر جبال المدينة المنورة وقد ارتبط تاريخها بوادي العقيق فجميعها تقع في الطرف الغربي من الوادي، وهي ثلاثة جماوات، الأول: جماء أم خالد وهي مقابل الأستاذ الرياضي، والثاني جماء تضارع: ويقع خلف مستشفى الملك فهد، والثالث: جماء عاقر ويقع على يمين المتجه للميقات على امتداد طريق عروة؛ معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ المعالم الطبيعية، المجلد الأول الجبال، ص٣٧٤.

(٢) انظر: معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ، عبدالعزيز كعكي، ج١، المعالم الطبيعية، المجلد الأول الجبال، ص ٢٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ويتكون الجبل من صخور بازلتية لونها بني داكن، ويميل إلى السواد في بعض المناطق، ولجبل سلع مكانة تاريخية متميزة فقد وقعت عدة أحداث مهمة على سفوحه أو بالقرب منه، أهمها: غزوة الخندق التي تجمع فيها المشركون في جهته الغربية، وكان يفصل بينه وبينهم الخندق الذي حفره المسلمون في السنة الخامسة للهجرة، وكان سفح جبل سلع مقر قيادة المسلمين فقد ضربت خيمة لرسول الله ﷺ، ورابط عدد من الصحابة في مواقع مختلفة منه، وعند قاعدة الجبل سكنت منذ العهد النبوي قبائل عدة.

القلاع على جبل سلع

جبل عير:

يقع جبل عير في المنطقة الجنوبية الغربية من المدينة المنورة، ويبعد عن المسجد النبوي ثمانية أميال، ومتوسط عرضه سبعون متراً، وارتفاعه عن سطح البحر حوالي ٩٥٥ متراً، وهو جبل طويل يمتد من الشرق إلى الغرب، وسطحه مستوٍ ليس فيه قمة لذلك سمي بجبل عير تشبيهـًا له بظهر الحمار الممتد باستواء يبلغ طوله ألفي متر تقريبـًا، ويعد جبل عير الحد الجنوبي لحرم المدينة المنورة(١)، فقد ورد في حديث علي ابن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «المدينة حرم ما بين عير وثور»(٢).

جبل أحد:

يعتبر جبل أحد من أبرز الجبال التي ارتبطت بأهم غزوات النبي ﷺ وأخذ شهرته من وقعة الغزوة التي عرفت باسم غزوة أحد.

ويبعد جبل أحد عن مدينة رسول الله ﷺ حوالي ثلاثة أميال ونصف تقريبـًا وهو يمثل أحد التكوينات الجغرافية الرئيسية يظهر كأعظم

(١) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج٤، ص١٧١.

(٢) صحيح البخاري، باب إثم من تبرأ من مواليه، رقم الحديث ٦٧٥٥، ج٨، ص١٥٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

جبال المدينة المنورة وأكبرها من جهة الشمال، ويقع في منطقة استراتيجية مهمة فهو يشرف على التقاء أودية المدينة المنورة.

والجبل يحده من الشمال خط الجامعات المعروف بخط غير المسلمين، أما من الجنوب فكانت ساحة المعركة وفيها مقبرة سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه وجبل الرماة وأيضـًا وادي قناة، أما من جهة الغرب فيشرف على منطقة الخليل أو ما يعرف بمجمع الأسيال، وأما من جهة الشرق طريق المطار وأيضـًا يطل على جبل تيأب .

ثانيـًا: الحرات:

وأيضـًا من التحصينات الطبيعية وجود الحرات، أو اللابات وهي عبارة عن: مكونات بركانية سوداء اللون ذات طبيعة وعرة تغطي مساحات ومسطحات كبيرة من الأرض، تظهر بوضوح تام في سلسلة الحجاز بين دائرتي عرض (٢٠-٣٠درجة) -٢٨ درجة شمالاً[١]، كما تبدو الحرات كتكوينات بركانية تصل بين الجبال والواحة المكونة

(١) معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ، عبدالعزيز كعكي، ج١، المعالم الطبيعية، المجلد الثاني الحرات والأودية، ص٤٣٩.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لها[١]، ويطلق على الحرات أسماء مختلفة مشتقة من منطقتها، وتقع المدينة المنورة عند النهاية الشمالية لأكبر هذه الحرات امتداداً ومساحة، كما تحتل المدينة المنورة موقعاً استراتيجياً بين الحرات الثلاث المشهورة والتي تتمثل بحرة واقم[٢]، وهي تحتل كامل الجزء الشرقي المدينة وهي كثيرة العمران فقد سكنت بأهم قبائل اليهود من بني قريظة والنضير وكانت تسكنها أهم البطون الأوسية[٣]، أما من الجهة الغربية فتوجد حرة الوبرة، وتعتبر حرة الوبرة[٤] هي الأقرب للمدينة المنورة من حرة واقم[٥]، وأما الحرة الثالثة هي حرة شوران التي تغطي كامل الجزء الجنوبي من نهاية الحرة الغربية حتى بداية الحرة الشرقية، وهي التي تشكل همزة الوصل بين الحرتين الشرقية والغربية من الجهة الجنوبية، وقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «إن إبراهيم حرم مكة، وإني

(١) المدينة المنورة، اقتصاديات المكان السكان، ص٥٨.

(٢) حرة واقم: المعروفة الآن بالحرة الشرقية.

(٣) المدينة المنورة، اقتصاديات المكان السكان، ص٥٨.

(٤) حـرة الوبرة: المعروفة الآن بالحرة الغربية.

(٥) المدينة المنورة، اقتصاديات المكان السكان، ص٥٩.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أحرم ما بين لابتيها[١]»[٢]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: "حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين لابتي المدينة"، قال أبو هريرة ﷺ: "فلو وجدت الظباء ما بين لابتيها ما ذعرتها"[٣].

ولوعورة مناطق الحرات ولكثرة الشقوق وحجارتها السوداء المدببة، التي ساعدت على تكوين حماية أمنية طبيعية للمدينة المنورة، وقد اتضح ذلك في الكثير من الأحداث التي مرت بها المدينة المنورة عبر التاريخ وفي السيرة النبوية تحديداً كما حدث في غزوتي أحد والخندق.

***

(١) اللابة: هي الحرة ويقصد باللابتين الحرة الشرقية واقم، والحرة الغربية الوبرة؛ الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين ﷺ، ص١٦.

(٢) صحيح مسلم، باب فضل المدينة، رقم الحديث ١٣١٦، ج٢، ص٩٩١.

(٣) صحيح مسلم، باب فضل المدينة، رقم الحديث ١٣٧٢، ج٢، ص١٠٠٠.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث الثاني:
التحصينات العسكرية

أولاً: الآطام:

أما بالنسبة للتحصينات العسكرية، فالمدينة المنورة معروفة منذ ما قبل الإسلام ببناء الحصون والآطام فهذه تعدّ من عناصرها المعمارية وتعتبر من سماتها وخصائصها، ويذكر ابن النجار عن آطام أهل المدينة بقوله: "وكانت الآطام عز أهل المدينة ومنعتهم، التي يتحصنون فيها من عدوهم، وكان منها ما يعرف اسمه، ومنها مالا يعرف اسمه"(١).

أطم بني واقف جنوب شرق مسجد قباء

(١) أخبار المدينة المنورة، ابن النجار، ص٨٠.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقد كان لهذه الآطام والحصون الدور البارز في عمارة المدينة المنورة، مع ما أقيم بجوارها من دور ومنازل بسيطة ظهرت لتلبي احتياجات ومتطلبات السكان، وقد عرفت الآطام قديمًا بمسميات مترادفة أخرى كالآجام، والصياصي، والحصون، ورغم الترادف في المسمى إلا أن عبدالقدوس الأنصاري يفرق بينها ويصفها في الوقت نفسه بقوله: "الآطام وإن كانت من نوع الحصون بالمعنى العام إلا أن لها وضعًا خاصًا في طراز العمارة، فهي تساد بالحجارة المختلفة الأحجام، يوضع فيما بينها حشو الطين، ولها مساطب عالية تشرف على ما حولها ويتنزه من فوقها، أما الحصون فبناؤها بالحجارة الضخمة الهائلة المربعة لا حشو فيها، وقد تكون الآبار بداخلها"(١).

وقد وردت كلمة الصياصي في القرآن الكريم عندما قص علينا الحق تبارك وتعالى أخبار غزوة بني قريظة، بقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾(٢)، وأما ما ذكره النبي ﷺ عن الآطام تعدد في مناسبات

(١) آثار المدينة المنورة، عبدالقدوس الانصاري، ٦٤.

(٢) سورة الأحزاب، آية ٢٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

شتى فقد ذكر ابن عمر، ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تهدموا الآطام، فإنها زينة المدينة»(١).

وقد اختلف في أول من بنى الحصون الآطام في المدينة المنورة، فتجمع الكثير من المصادر التاريخية على أن أول من نزل المدينة وسكنها العمالقة، الذين بنوها وعمروها، واتخذوا بها الآطام وغرسوا بها النخيل والزرع واتخذوا بها الضياع(٢)، رغم أن بعض المؤرخين يعزون إنشاء الآطام في المدينة المنورة قبل الإسلام إلى اليهود ولكن العبارات التي تناقلها المؤرخون في هذا الموضوع والتي أشاروا من خلالها إلى فكرة بناء الآطام هي فكرة لليهود ضمن عبارة محدودة(٣).

(١) شرح معاني الآثار، أبو جعفر الطحاوي، تحقيق محمد زهري النجار، عالم الكتب، ١٤١٤هـ، ط ١، باب صيد المدينة الحديث رقم٦٣٢٤، ج٤، ص١٩٤.

(٢) فتوح البلدان، البلاذري، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م)، ص٢٩، الروض الأنف السهلي ج٢، ص٢٥٠، وفاء الوفاء، السمهودي، ج١، ص١٥٦، أخبار المدينة، ابن النجار، ص٧٣.

(٣) معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ (تاريخ وعمارة الحصون والآطام، والأسوار والأبواب، والقلاع والأبراج)، عبدالعزيز كعكي، المجلد الأول، ص٤٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ثانيـًا: أسوار المدينة:

وأما بالنسبة لتحصين المدينة المنورة من خلال بناء سورها الذي مر بعدَّة مراحل تاريخية؛ وباتفاق الروايات التاريخية[١] أن أول من أقام سوراً للمدينة المنورة بمعناه الحقيقي هو أمير المدينة إسحاق بن محمد الجعدي[٢] في عام ٢٦٣هـ، وكان للسور الذي بناه إسحاق بن محمد أربعة أبواب[٣]، وكانت الهجمات المتعددة هي السبب الذي دعا أمير المدينة لبناء الأسوار من الطوب واللبن [٤]، وقد استمر سور إسحاق بن محمد قائمـًا لأكثر من مئة عام حتى تعرض لعدة هجمات فتهدمت معظم أجزائه وتساقط كثير من أركانه فأصبح غير قادر على أداء الوظيفة التي أنشئ من أجلها وظل هكذا حتى عام ٣٦٧هـ[٥]، حيث قام عضد الدولة

(١) معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ (تاريخ وعمارة الحصون والآطام، والأسوار والأبواب، والقلاع والأبراج)، ص٣١٧.

(٢) محمد بن إسحاق: هو محمد بن إسحاق بن مصعب أمير المدينة المنورة في سنة ٢٣٦هـ في خلافة المتوكل، وورد عنه أنه أول شخص بنى سوراً حول المدينة المنورة؛ تاريخ أمراء المدينة المنورة، ص١٨١.

(٣) موسوعة مرآة الحرمين الشريفين، أيوب صبري باشا، ج٣، ص١٧.

(٤) المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري، ص١٨.

(٥) المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ (تاريخ وعمارة الحصون والآطام، والأسوار والأبواب، والقلاع والأبراج)، ص٣١٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

البويهي[١]، بإعادة إعمار السور وبنائه من الحجر من أساسه[٢]، ويعزو مصطفى لمعي السبب الذي أدى إلى بناء السور من جديد حول المدينة المنورة هو حماية المدينة من استيلاء الدولة الفاطمية في مصر عليها[٣].

للمدينة المنورة أربعة أبواب وهي:

١- باب البقيع في السور الشرقي.

٢- باب الثنية الذي يؤدي إلى ثنية الوداع الشمالية الغربية.

٣- باب جهينة في السور الغربي.

٤- باب الخندق[٤].

---

(١) عضد الدولة البويهي: هو فنَّاخُسرو، الملقب عضد الدولة، ابن الحسن الملقب رُكْن الدَّوْلة ابن بويه الديلميّ، أبو شجاع: أحد المتغلبين على الملك في عهد الدولة العباسية بالعراق. تولى ملك فارس ثم ملك الموصل وبلاد الجزيرة، وهو أول من خطب له على المنابر بعد الخليفة، وأول من لقب في الإسلام " شاهنشاه " قال الزمخشريّ (في ربيع الأبرار): " وصف رجل عضد الدولة فقال: وجهٌ فيه ألف عين، وفم فيه ألف لسان، وصدر فيه ألف قلب! ". كان شديد الهيبة، جبارا عسوفا، أديبا، عالما بالعربية، ينظم الشعر، نعته الذهبي بالنحوي، وصنف له أبو علي الفارسيّ" توفي في بغداد ونقل إلى النجف في تابوت ودفن فيها سنة ٣٧٢ ه؛ الأعلام للزركلي، ج٥، ص١٥٦.

(٢) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ﷺ، ج٢، ص٧١٣؛ المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ (تاريخ وعمارة الحصون والآطام، والأسوار والأبواب، والقلاع والأبراج)، ص٣١٨.

(٣) المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري، ص١٣.

(٤) المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري، ص ١٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ويذكر أيوب صبري باشا أن السور استمر قرابة مائتي سنة[١] حتى تهدم ولم يبقى له أثر فقام الجواد الأصفهاني بتجديده كما ذكر السمهودي: "ولم يبق إلا آثاره حتى جدد لها جمال الدين محمد بن أبي المنصور يعني الجواد الأصفهاني سورا محكما حول المسجد الشريف على رأس الأربعين وخمسمائة من الهجرة ثم كثر الناس من خارج السور"[٢]، وبعد تجديد السور بحوالي ثمانية عشر عاماً أقام نور الدين زنكي في سنة ٥٥٨هـ سوراً من الحجر أحاط بالسور القديم والتجمعات السكانية التي أقيمت خارج السور الأول[٣]، وقد أشار السيد السمهودي إلى نص موجود على باب الحديد داخل البقيع مكتوب فيه: "هذا ما أمر بعمله العبد الفقير إلى الله تعالى محمود بن زنكي بن أقسنقر غفر الله له ٥٥٨هـ"[٤]، ويعزو مصطفى لمعي الهدف في بناء السور الجديد وكذلك تجديد السور القديم هو توفير الحماية الكافية للمدينة المنورة من الغزو الصليبي، وهو ما حدث بعد ذلك فعلاً عام ٥٧٨هـ [٥]، وتم في العهد

(١) موسوعة مرآة الحرمين الشريفين، أيوب صبري باشا، ج٣، ص٢٠.

(٢) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ﷺ، ج٢، ص٧١٥.

(٣) المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري، ص١٤.

(٤) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ﷺ، ج٢، ص٧١٥-٧١٦.

(٥) المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري، ص١٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المملوكي عدة ترميمات للسور منها ما قام به السلطان قايتباي من إعادة ترميم الأسوار؛ وخاصة السور الخارجي وأجرى بعض الإصلاحات لبعض أجزائه وأبراجه وقد كان ذلك في عام ٨٨١هـ.

وكان للمدينة المنورة سوران السور الداخلي والسور الخارجي وهما كالتالي:

السور الداخلي:

يعرف هذا السور أيضاً بالسور الكبير ويطلق عليه في أغلب كتب الرحالة باسم السور "الجواني"، ويعرف عند البعض "بالسور القديم"(١)، ويطلق عليه أيضاً اسم "سور محمد علي باشا"(٢) ويعد سور المدينة الداخلي "الجواني" من أقدم الأسوار التي أقيمت حول المدينة المنورة، وقد حظي هذا السور من العناية والاهتمام بما لم يحظ به السور الثاني.

(١) موسوعة مرآة الحرمين الشريفين، أيوب صبري باشا، ج٣، ص٢٠.

(٢) المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ (تاريخ وعمارة الحصون والآطام، والأسوار والأبواب، والقلاع والأبراج)، ٣١٦؛ أسوار المدينة المنورة في التاريخ، احمد محمد شعبان، (مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، محرم ١٤٢٦هـ العدد رقم ١٢)، ص٦٠.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ونبدأ فيما يخص السور الداخلي "الجواني" من عمارة السلطان سليمان القانوني في العهد العثماني، فبعد أن أصبحت المدينة المنورة تحت سلطة الدولة العثمانية في سنة ٩٢٣هـ، اهتم السلطان سليمان القانوني الذي تولى الخلافة سنة ٩٢٦هـ-٩٧٤هـ بعد وفاة أبيه السلطان سليم الأول، وكان من أهم أعمال السلطان سليمان الشروع في إعادة تعمير سور المدينة المنورة، حيث قام بهدم السور من فوق منسوب سطح الأرض وكذلك الأبواب، وأعاد بناءه بالحجر وقام كذلك بهدم حصن أمير المدينة الذي يقع في الركن الشمالي الغربي من خارج السور، وقد ابتدأ العمل في السور عام ٩٣٩هـ بعد أن صدر الأمر السلطاني بتعمير سور المدينة القديم بشكل متين قوي وإنقاذ الأهالي الكرام من تسلط اللصوص وتعيين من يقتضي تعيينهم من أجل هذا العمل على وجه السرعة وإرسالهم إلى دار المدينة المنورة، ويذكر أيوب صبري باشا أنه تم إشعار والي ولاية مصر، وبناء على صدور الصحيفة التي تحوي الأمر السلطاني وإرسالها إلى والي مصر، تم تحديد الشخص الذي أنيطت به مهمة أمانة البناء كما دبرت المبالغ اللازمة، ومن ثم توجه ومعه لوازم

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

البناء إلى المدينة المنورة وأخذ يقيس الأماكن التي تحتاج إلى التعمير والبناء من السور فتكشف له أن أربعة آلاف ذراع معماري[١] من الجدران في حاجة إلى التأسيس والتشييد من جديد ما عدا الأبراج والدعائم وكان ارتفاع هذا الجدار سبعة عشر ذراعاً وسمكه عشرة أذرع، وقد جلب أمين البناء العمال المطلوبين من المدينة المنورة وابتدئ في حفر الأساس في وسط سنة ٩٣٩هـ، وقد بذل أقصى الجهود وأخلص المساعي في بناء السور وقدمت التسهيلات اللازمة من جميع الجهات، ومع ذلك لم يتم بناؤه إلا في ظرف سبع سنوات[٢] حيث انتهت الأعمال في السور والقلعة في ١٥ شعبان ٩٤٦هـ [٣]، وقد عزى مصطفى لمعي أسباب إطالة مدة البناء في السور في عهد السلطان سليمان القانوني إلى الأسباب التالية: -

(١) الـذراع المعماري: هو الذراع ما بين طرف المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى، أما بالنسبة للمقايس الأخرى هي أنواع منها: ذراع إستنبولية وهي حوالي ٦٧سم، ذراع أعشارية وهي المتر نفسه، ذراع البريد ويساوي ٣. ٤٨سم، ذراع بلالية تساوي ٥٩سم، أما ذراع البنائين في الحجاز تساوي ٦١سم؛ ألفاظ المقادير في العربية دراسة في البنية والدلالة، شيرين ثابت حسني عبدالجواد، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠١٢م)، ص٢٩.

(٢) موسوعة مرآة الحرمين الشريفين، أيوب صبري باشا، ج٣، ص٢٠.

(٣) المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري، ص ١٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

١- انقطاع الموارد المالية المرسلة من مصر.

٢- وفاة بعض المشرفين على البناء.

٣- تغير المشرفين المصريين بآخرين أتراك.

واستمر اهتمام السلاطين العثمانيين بهذا السور، ففي عام ١٠٧٨هـ قام السلطان محمد خان الرابع، بتجديد وعمارة السور الأول مرة أخرى وإصلاح ما لحق به من أضرار بعد أن مضى على عمارة السلطان سليمان له أكثر من مئة وثلاثين عامًا؛ حيث شملت العمارة في عهده الكثير من أجزائه المتهدمة، وإصلاح ما يحتاج إلى إصلاح إضافة إلى تجديد بعض أبوابه(١)، ثم بقيت عمارة السور الأول قائمة على آخر تجديد لها في عهد السلطان محمد خان الرابع، حتى جاء عهد السلطان عبدالحميد الأول الذي قام بترميم وإصلاح الأجزاء العليا من السور في سنة ١١٦٢هـ، وفي عهد السلطان محمود الثاني بعد ما يقرب من خمسين سنة أي في عام ١٢٢٠هـ خضع السور إلى تجديد وعمارة كلف بها الخليفة والي مصر محمد علي باشا للقيام بها، وتتمثل عمارة السور الداخلي مع عمل سور آخر يربط بين الأبراج والقلاع

(١) المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ (تاريخ وعمارة الحصون والآطام، والأسوار والأبواب، والقلاع والأبراج)، ص ٣٩٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

جعل أساسه من الحجر حتى وجه الأرض وجعل ارتفاعه من اللبن ثم جعل فيه أبوابًا كما قام محمد علي باشا بإجراء تجديد لعمارة باب سويقة ومن ذلك التاريخ سمي هذا الباب "بالباب المصري"(١).

وقد وصف بريكهارت سور المدينة المنورة من خلال خريطته التي ترجع إلى سنة ١٨١٥م حيث بَيَّن فيها السور الذي أعاد بناءه السلطان سليمان وكذلك السور الخارجي الذي أقيم بالجهة الغربية الجنوبية هو متهدم وكثير من أجزائه مبنى بالطوب(٢).

أما الفترة التي هي بين عامي ١٢٦٥-١٢٧٧هـ قام السلطان عبدالمجيد الأول بتجديد سور المدينة الأول والمحيط بالمسجد النبوي الشريف، وذلك ضمن مشروعه الكبير لعمارة وتجديد المسجد النبوي الشريف، فقام بتجديد السور الغربي والشمالي، وإصلاح بعض الأجزاء العليا من السور الشرقي، كما قام بفتح باب في السور الشمالي عرف" بباب المجيدي" وهو في نفس اتجاه الباب الذي زاده السلطان عبدالمجيد خان الأول للمسجد النبوي الشريف في عمارته الأخيرة والمعروف بباب

(١) المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ (تاريخ وعمارة الحصون والآطام، والأسوار والأبواب، والقلاع والأبراج)، ص٣٩٧؛ المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري، ص ١٩.

(٢) رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، بريكهارت، ص ٢٧٠.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

"التوسل"، كما عرف بباب عبدالمجيد نسبة إلى مشيده السلطان عبد المجيد ويعتبر باب المجيدي في السور من الأبواب الجديدة المؤدية إلى المنطقة الشمالية خارج السور الأول والتي لم تكن موجودة قبل ذلك(١)، وقد تولى مهام فتح هذا الباب متولى عمارة السلطان عبدالمجيد للمسجد النبوي محمد باشا الذي وصل المدينة المنورة في يوم ٢٢من شهر شعبان ١٢٦٧هـ بعد وفاة متولى العمارة السابق حليم أفندي، وقد كان سبب فتحه لهذا الباب هو إحداث طريق من عند الجبل المعروف بالجبل الأحمر أو جبل الحرم إلى أن يصل إلى باب السور المسمى بالباب الشامي، ومن ثم تمر العربات التي تحمل الحجار عبر شارع الساحة إلى باب الرحمة ومنه إلى باب الضيافة الذي يقع في الجهة الشمالية، وكانت العربات في طريقها تحدث زلزلة شديدة فخشي الناس وشكوا من ذلك، فرأى متولي العمارة أن يفتح بمحاذاة دار الضيافة بابا من السور، ففتح بعد أن أخذ الموافقة من السلطان عبد المجيد خان الأول(٢).

(١) المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ (تاريخ وعمارة الحصون والآطام، والأسوار والأبواب، والقلاع والأبراج)، ص٣٩٧.

(٢) نزهة الناظرين في مسجد الأولين والآخرين، ص٨٣-٨٤

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وبعد إتمام مشروع توسعة المسجد النبوي وانتهائها لم يقفل باب السلطان عبدالمجيد بل ظل قائماً، ويقع باب المجيدي، في منتصف الحائط الشمالي للسور تقريباً مع ميل إلى جهة الشرق قليلاً مقابل الركن الشمالي الشرقي للمسجد النبوي الشريف(١).

ويذكر جعفر البرزنجي ذرعة السور الداخلي بذراع العمل ما بين ثلاثة آلاف واثنان وسبعون، حيث يصف وهو المعاصر لعهد السلطان عبدالمجيد خان الأول أن لهذا السور خمسة أبواب هي:

١- من جهة الشرق: الباب الذي يخرج منه إلى البقيع الشريف ويعرف "بباب البقيع" أو "باب الجمعة".

٢- ومن جهة الشمال: الباب المجيدي الذي أحدث في أثناء العمارة.

٣- ومن جهة الشمال الغربي: الباب الشامي الذي هو ما بين جبل سلع والقلعة، كما يليه من شرق الباب الشامي باب يعرف "بالباب الصغير".

(١) المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ (تاريخ وعمارة الحصون والآطام، والأسوار والأبواب، والقلاع والأبراج)، ص٤٨٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٤- من جهة الغرب: يأتي "الباب المصري"(١) وقد كتب عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ۝٣١﴾(٢).

ويصف أحد الباحثين المعاصرين الباب المجيدي بقوله: "لو نظرنا إلى وصف الباب المجيدي ونمط عمارته لظهر لنا من أول وهلة بأنها عمارة بسيطة مجرد مخرج ومدخل تم فتحه في السور، ويتكون هذا الباب من عقد حجري نصف دائري الشكل يمتد إلى الداخل بعمق يزيد عن ستة أمتار ليشكل بالتالي قبواً طويلاً عالي الارتفاع ذا قطاع نصف دائري، وقد بني من الحجر على هيئة وحدات متتالية من الأحجار يشكل كل طرف منها عقداً منتظماً يترابط مع العقد المجاور بتداخل وحدات هذا القبو، وتمت تسوية المنسوب الأعلى لهذا القبو ليظهر على هيئة سطح مستوي الاستخدام لبناء بعض الغرف العليا التي تستند على حوائط ودعامات القبو المتمثلة بحوائط وجدران الغرف السفلية المقامة على جانبي المدخل الرئيس"(٣).

---

(١) نزهة الناظرين في مسجد الأولين والآخرين، ص٢٢٧.

(٢) سورة النمل الآية رقم ٣٠-٣١.

(٣) المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ (تاريخ وعمارة الحصون والآطام، والأسوار والأبواب، والقلاع والأبراج)، ص٤٨٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقد وضع بيرتون تصوراً تخطيطياً لوضع الكتلة العمرانية القائمة آنذاك في السور الداخلي وأوضح من خلال مخططه بعض الطرق والشوارع ومسار السور فظهر السور الأول وقد أحاط بالمسجد النبوي الشريف وقد ذكر الأبواب التي عليه وهي: الباب الشامي، باب الجمعة في الاتجاه الشمالي، وباب الجمعة في السور الشرقي، وباب المصري في السور الغربي، والباب الصغير في السور الشمالي الغربي، وقد كان الشكل العام للسور قد أخذ الشكل البيضاوي غير المتنظم، وإن أجمل أبوابه باب الجمعة و باب المصري(١).

السور الخارجي:

يعرف بالسور "البراني" كناية عن موقعه خارج السور الأول، كما يعرف "بالسور الجديد"، وعند البعض يعرف بسور "ابن الزنكي" ينقل البرزنجي عن المجد بخصوص بناء السور الخارجي: "أن السلطان نور الدين لما ركب متوجهاً إلى الشام، وكان الناس قد كثروا بالمدينة خارج السور(٢)

(١) رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ج٢، ص٩٦؛ المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ (تاريخ وعمارة الحصون والآطام، والأسوار والأبواب، والقلاع والأبراج)، ص٣٩٩.

(٢) يقصد خارج السور الداخلي.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الذي بناه الجواد الأصفهاني حول المسجد فصاح بالسلطان من كان نازلاً خارج السور، واستغاثوا، وطلبوا أن يبني عليهم سوراً يحفظ أبناءهم، وماشيتهم فأمر ببناء هذا السور المجدد اليوم، فبني سنة ٥٥٨هـ وكتب اسمه على باب البقيع فهو باق إلى يومنا هذا"(١).

واستمر هذا السور قائما بعمارته الجديدة التي أسسها ابن زنكي لأكثر من مئة وتسعين سنة يؤدي كامل الوظائف التي أقيم من أجلها، ومر بعدة ترميمات في ظل العهد المملوكي، كما حظي باهتمام السلاطين والخلفاء في الدولة العثمانية تجديداً وعمارة، منها ما قام به السلطان سليمان بن السلطان سليم من تجديد هذا السور وعمارة بعض أجزائه وذلك ضمن عمارته الكبرى للسور الأول التي استغرقت زهاء سبع سنوات(٢)، ويرجح بعض المؤرخين أن سور نور الدين زنكي اندثر(٣)،

(١) نزهة الناظرين في مسجد الأولين والآخرين، ص٢٢٣؛ المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ (تاريخ وعمارة الحصون والآطام، والأسوار والأبواب، والقلاع والأبراج) ص٤٩٠.

(٢) المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ (تاريخ وعمارة الحصون والآطام، والأسوار والأبواب، والقلاع والأبراج)، ص٤٩١.

(٣) أسوار المدينة المنورة في التاريخ، أحمد محمد شعبان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد رقم ١٢، ص٦٠.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وفي عام ١٢٢٠هـ خضع لبعض الترميم في عهد السلطان محمود الثاني على يد والي مصر محمد علي باشا آنذاك ولكن هذا الترميم لم يغط كافة أجزائه، بل تكز على بعض الأجزاء المتهدمة.

أما في عهد السلطان عبدالمجيد الأول وفي الفترة التي هي بين عامي ١٢٥٦هـ-١٢٧٧هـ حيث نهضت المشاريع التطويرية والعمرانية في المدينة المنورة تم تجديد السور الثاني، وذلك بعد أن لاحظ المشرف حليم باشا مهندس القصور العثمانية والمعلم إبراهيم كبير البنائين المصريين قد أدركا حاجة هذا السور إلى بعض الإصلاح والترميم فقاما بإجراء الترميم اللازم وفق نطاق ضيق تم تنفيذه ضمن مشروع وعمارة المسجد النبوي.

ويطلق البرزنجي على السور الخارجي سور المناخة، ويذكر أنه يقع غربي السور الداخلي وأنه أوسع منه ويحيط بالبيوت خارج السور في الجهة الغربية منه والقبلية، حيث أخذ من البقيع الشريف إلى القلعة، أما أشهر أبواب السور الخارجي "البراني"[(١)]:

(١) نزهة الناظرين في مسجد الأولين والآخرين، ص٢٢٨، المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ (تاريخ وعمارة الحصون والآطام، والأسوار والأبواب، والقلاع والأبراج)، ص٥١٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

١- من ناحية الشرق: باب البقيع.

٢- من جهة الجنوب الشرقي: باب العوالي.

٣- من جهة الجنوب: باب قباء.

٤- من الجهة الغربية: باب العنبرية.

٥- من الجهة الشمالية الغربية: باب الكومة.

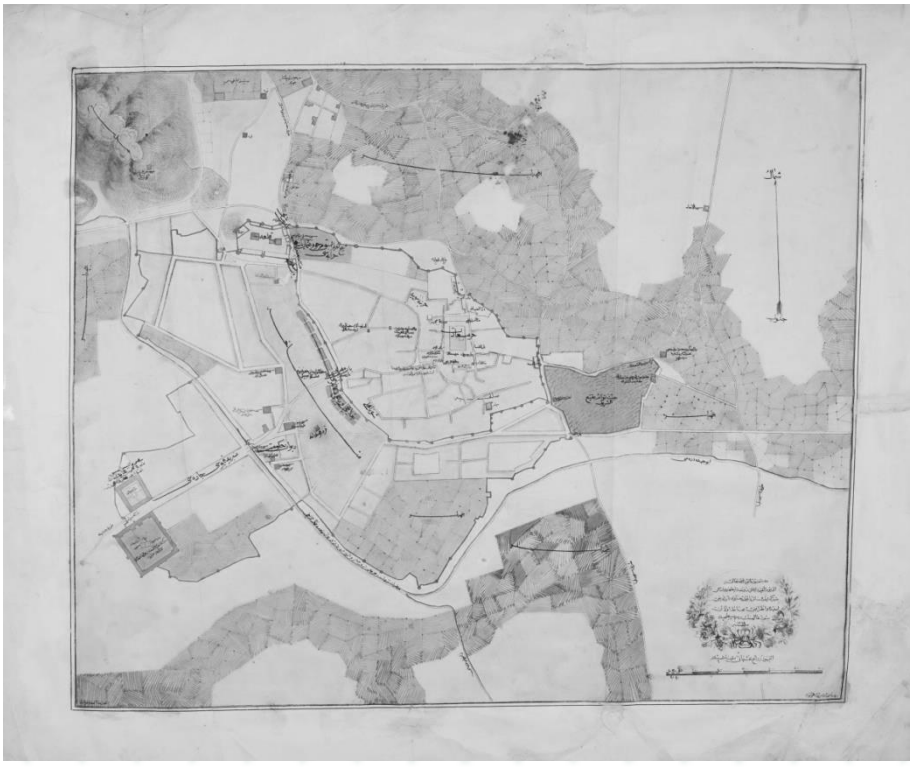

خريطة أرشيفية توضح السور الداخلي والخارجي تعود لعام ١٢٦٩هـ

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ثالثًا: القلاع :

أما بالنسبة للقلاع فقد صاحب بناء السور الأول والثاني ظهور العديد من القلاع والأبراج التي توزعت على طول تلك الأسوار والتي كان لها الدور الكبير والمهم في تشييد تلك الأسوار من النواحي الإنشائية والدفاعية والأمنية، فمن الناحية الإنشائية: كان لها الدور المهم في تدعيم أجزاء السور وثباته فلا يمكن إقامة أي سور بدون تلك الدعائم التي انتشرت على أجزاء السور وأركانه، وقد كان إنشاء هذه الدعائم مصاحبًا لعملية بناء السور وتشييده، فارتبطت قواعدها بقواعده وأساساتها بأساساته، فأصبحت بذلك حلقة ربط ينعقد عندها السور، وهذا ما ساعد على بقاء تلك الأسوار ثابتة لفترة زمنية طويلة(١)، وقد ارتبط تأمين وتحصين المدينة بالسورين الداخلي والخارجي، فكان وجود الأبراج والقلاع في مواضع حصينة تمكن من الدفاع عنها وعن الطرق الموصلة إليها(٢)، فالأبراج ارتبطت بالأسوار وعدت جزءاً منها ورابطًا بين

(١) المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ (تاريخ وعمارة الحصون والآطام، والأسوار والأبواب، والقلاع والأبراج)، ص٥٦٨.

(٢) عمران المدينة المنوة وخططها في النصف الثاني من القرن الثالث عشر التاسع عشر الميلادي دراسة حضارية (١٢٥٠-١٣٠٠هـ/ ١٨٣٤-١٨٨٢م)، مها بنت سعيد سعد اليزيدي، ط١، =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أجزائها وهذا يتضح من خلال أبراج السورين، والتي هي ضمن منظومة السور(١)، وهذا ما ذكره الرحالة بيرتون في حديثه عن باب الجمعة والباب المصري من حيث البناء وذكر أن الجنود يقيمون داخل أبراج مرتبطة بالبابين(٢).

ويذكر علي بن موسى أفندي فيما يخص الأبراج والقلاع، أنه لا وجود للسور الخارجي "البراني" في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، وإنما كان للعساكر الموظفين من الأهالي لحفظ المدينة المنورة قلاع، حدد موقعها في أطراف المناخة بين القلعة والأخرى نحو مائتي ذراع بذراع العمل، وكل قلعة لجماعة مخصوصين يتناوبون فيها، وفي فترة حكم محمد علي باشا وسيطرته على المدينة المنورة قام ببناء الأسوار بين الأبراج وكانت أساساتها من الحجارة، ومن ثم باللبن(٣).

=

(المدينة المنورة: كرسي الملك سلمان لدراسات تاريخ المدينة المنورة، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م)، ص٣٢٧، انظر: المدينة الإسلامية، محمد عبدالستار، ص١٦٠.

(١) المرجع السابق، المدينة المنورة وخططها في النصف الثاني من القرن الثالث عشر، ص٣٢٧.

(٢) رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ج٢، ص٩٦.

(٣) وصف المدينة المنورة سنة ١٣٠٣هـ، ص ١٢٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وأما بالنسبة للقلاع التي بالسور الداخلي "الجواني" فقد كانت مبنية بالحجر ومجصصة وبناؤها متين مجدد، وتعلوها أبراج ومساكن للعساكر.

ويضيف ابن موسى أن القراقولات(١) التي في يد العساكر النظامية والعساكر الضابطية يتناوبون فيها، ففي كل باب سواءً في أبواب السور البراني، أو السور الجواني يعتبر مكان تجمعهم وسكناهم، ولهم أيضاً مواقع أخرى حصرها ابن موسى في ثلاثة أماكن هي: المناخة، والخالدية، والأخير في الباب الصغير، أما داخل السور الجواني يوجد قراقول في "الخستة خانة"(٢) البلدية برباط ابن الزمن القريب من باب السلام(٣).

ويذكر أحد الباحثين أنواع القلاع المتصلة بالسور حيث أفاد بأنها على نوعين وهي:

(١) قراقول: المخفر، السجن، من قره غول- أي عسكر الليل، وقد ترد بلفظ كراكول؛ المعجم الجامع في المصطلحات العثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية والأيوبية والمملوكية، حسان حلاق، عباس صباغ، ط١، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٤٣٠ه)، ص١٩٠.

(٢) خستة خانة: "خسته" بمعنى المريض والمتعب و"خانه" بمعنى البيت والدار، وعني حرفياً " دار المرضى" أما في الإصطلاح فتعني المستشفى؛ المعجم الجامع في المصطلحات العثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية والأيوبية والمملوكية، ص٨٣.

(٣) وصف المدينة المنورة سنة ١٣٠٣هـ، ص١٢٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

١- نوع مستخدم كدعائم لتثبيت السور فقط وغالباً ما تكون ارتفاعات تلك الأبراج بارتفاع السور بارزة إلى الأمام لتزيد من تدعيمه وبنائه، وهي دعائم مصمتة تماماً يقل قطاعها الأفقي كلما اتجهنا إلى أعلى.

٢- نوع كأبراج ذات وظيفتين الأولى: تدعيم أجزاء السور وأركانه إضافة إلى استخدامها كمراكز مراقبة وحراسة للمنطقة حول السور وغالباً ما تكون هذه الأبراج مكونة من دورين، باب الدور الأرضي من داخل السور عبر مدخل صغير بينما يصعد إلى الدور الأول عن طريق درج حجري يمتد ملاصقاً للسور من الداخل وقد أستخدم كلا الدورين مقراً للجنود ومركزاً من مراكز المراقبة المنتشرة على السور(١).

ومن أشهر القلاع في المدينة المنورة هي "القلعة السلطانية" أو "قلعة القيادة" حيث تعد أكبر وأشمل قلاع المدينة المنورة فهي مركز القيادة العسكرية، ولهذا قد بنيت هذه القلعة في فترة خلافة السلطان سليمان القانوني، وقد تولى عمارتها الأمير مصطفى جلبي الذي تولى منصب أمين

(١) المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ (تاريخ وعمارة الحصون والآطام، والأسوار والأبواب، والقلاع والأبراج)، ص٥٦٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

العمارة بعد وفاة الأمير محمود جلبي[١]، في١٧ رمضان ٩٣٩هـ ووفاة ناظر العمارة في ذي الحجة سنة ٩٣٩هـ، وكانت عمارة القلعة السلطانية، كما وصفها محمد بن خضر الرومي في أواسط سنة ٩٤٤هـ.

وتقع القلعة السلطانية في شمال المناخة وشمال غرب المسجد النبوي، ينفذ منها إلى شارع الساحة، ومباني السلطانية من السور الداخلي، وهي ملاصقة للباب الشامي من الجهة الشرقية، كما تقع في الجنوب الشرقي لجبل سلع، ويذكر الرحالة بيرتون بأن القلعة تصل بين ضلعي الزاوية الشمالية الغربية للمدينة المنورة، وجدارها الذي يمثل تحصيناتها الشرقية[٢]، وبعض مباني القلعة تقع على جبل سليع وتشتمل القلعة على مسجد عند بابها، وعلى مساكن للجنود والضباط وأيضاً مستودعات "للجبخانة"[٣]، وتتناثر فيها المدافع والأدوات الحربية[٤]،

(١) محمود جلي: شيخ الحرم النبوي في حوالي ٩٤٦هـ الذي عمر في أيامه سور المدينة في سنة ٩٤٦هـ، كتاب تاريخ أمراء المدينة المنورة ص ٣٢٨؛ المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ (تاريخ وعمارة الحصون والآطام، والأسوار والأبواب، والقلاع والأبراج)ص، ٥٧٤.

(٢) رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ج٢، ص٩٥.

(٣) جبخانة: من "جبه" أي الدرع، و"خانه" بمعنى الدار أي دار الدروع وقد أطلق هذا المصطلح على دار السلاح والذخيرة في الدولة العثمانية؛ المعجم الجامع في المصطلحات العثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية والأيوبية والمملوكية، ص٦٣.

(٤) رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ج٢، ص٩٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وأيضاً تشتمل على الحبس ويسمى الحبس الكبير وعلى القاعة التي يجلس فيها الحاكم التركي محافظ المدينة يومياً للحكم، وتقع في علو الباب الصغير وما جاوره، وتشرف على المناخة(١).

أما علي بن موسى أفندي يصف جانباً من القلعة ويذكر بعض المنشآت الأمنية التابعة لها وهي:

١- باب الحبس المخصص للنساء أصحاب الجنايات.

٢- باب دار الحكومة والخزنة الديوانية، ومحل المحافظ، ومحل مجلس الإدارة الذي يجتمع في كل دورة مرتين.

٣- مجلس الضباط لمباشرة الأحكام والسياسة.

٤- سجن أصحاب الجنايات والديون باستثناء الخطباء والأئمة والسادة والمؤذنين فحبس كل طائفة في دار رئيسها.

وتعدّ القلعة من أهم القلاع الحربية في المدينة المنورة لما تحتوي عليه من مرافق ومنشآت حربية مختلفة، إذ تتكون بشكل عام من سور ضخم أقيم من الحجر يحيط بموقع القلعة ومبانيها الأخرى، وجدار

(١) فصول من تاريخ المدينة المنورة، علي حافظ، ص٥٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

القلعة الخارجي حسب وصف بيرتون يشبه جدار القلعة بجدار السور الخارجي، غير أن أبراج القلعة أكثر قوة وصلابة لأن الجدار الواصل بين البرجين قد أعد بطريقة أفضل، كما أن برج القلعة أعد على صخرة(١) داخل الحصن ... وأما جدران القلعة فهي مطلية باللون الأبيض(٢).

والقلعة السلطانية مزودة بآبار، ومصدات للقنابل، وإمدادات للذخيرة(٣)، وسجن، ومبنى الإمارة وإدارة البلدية، وغرف وحجرات كثيرة للضباط والمنتدبين(٤)، وأما بالنسبة لعدد الجنود فقد ذكر بيرتون قائلاً: "تتكون حامية الحصن من نصف أورطة (٤٠٠رجل) من الجند المشاة، بقيادة باشا تمتد سلطته أيضـًا إلى السنجق المكون من حوالي خمسمائة من الأكراد والألبان الباشبوزوق الذين تتركز مهامهم في حماية القوافل وتوصيل الأموال والأرزاق"(٥)، وبجوار القلعة منهل العين الزرقاء ومنهل العين المالحة، كما توجد حديقة صغيرة وحظيرة

(١) يقصد بيرتون جبل سليع.

(٢) رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ج٢، ص٩٨.

(٣) المرجع السابق، ص٩٩.

(٤) المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ (تاريخ وعمارة الحصون والآطام، والأسوار والأبواب، والقلاع والأبراج)، ص٥٧٧.

(٥) رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ج٢، ص٩٩.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

للحيوانات المخصصة لسحب المدافع، ومحلات للحدادين الذين يقومون بتصنيع الأدوات الحربية اللازمة، وفي وسط القلعة صهاريج مخصصة لحفظ المياه(١)، كما يوجد على سور القلعة الخارجي من جهة الباب الصغير مسجد سيدنا عثمان بن عفان ﷺ(٢).

ويحيط بسور القلعة الخارجي مجموعة من الأبراج التي تتوزع على أركانها للمراقبة، وقد حدد طول محيط القلعة السلطانية في القرن العاشر الهجري، حسب قول المؤرخ محمد بن خضر الحنفي بـ ٥١٨ ذراعاً بذراع العمل، وأما علي حافظ فقد حدد مساحة القلعة الكلية بحوالي ١٥٠٠٠متر مسطح(٣).

وقد أوضحت عدد من الوثائق حرص الباب العالي على ترميم قلعة باب الشامي، حيث أوضحت الوثيقة المؤرخة في ١٢ صفر ١٢٥٨هـ أن القلعة التي يقيم فيها عدد من جنود المدفعية الذين يجري تدريبهم بالمدينة المنورة تعرضت للخراب والتدمير وذلك بسبب السيل الذي اجتاح المدينة المنورة، وأنه يحتاج إلى مبلغ مالي لترميم القلعة ولزوم بناء بعض المنشآت الملحقة

(١) وصف المدينة المنورة سنة ١٣٠٣هـ، ص ١٢٦.

(٢) الأرشيف العثماني تصنيف رقم، I. MVL. 230.15764؛ دارة الملك عبدالعزيز بالرياض، وثيقة عثمانية رقم: ٢٩١.

(٣) فصول من تاريخ المدينة المنورة، ص ٥٠.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بها وقد حدد المبلغ بحوالي ٦١٦٠٠ قرش(١)؛ وأيضاً أشارت الوثيقة المؤرخة في ١٢رجب ١٢٦٣هـ المتضمنة رسائل واردة من والي جدة وقائم مقام المدينة المنورة، بخصوص القيام بتسوية المبالغ المالية ومقدارها ١٦٠٠ قرش، من أجل ترميم قلعة المدينة المنورة وإنشاء بعض المباني الجديدة(٢)؛ وكما أفادت وثيقة أخرى مؤرخة في ٧ ربيع الأول١٢٧٠هـ والتي كانت تتحدث عن تسوية مصروفات ترميم القلاع في المدينة المنورة ومنها قلعة باب الشامي من ميزانية جدة(٣).

صورة للقلعة السلطانية قلعة الباب الشامي

(١) الأرشيف العثماني تصنيف رقم، I.DAH.3156؛ دارة الملك عبدالعزيز بالرياض، وثيقة عثمانية رقم: ٥٠٤.

(٢) الأرشيف العثماني تصنيف رقم، I.DAH.7810؛ دارة الملك عبدالعزيز بالرياض، وثيقة عثمانية رقم: ٥٣٣.

(٣) الأرشيف العثماني تصنيف رقم، I.M.VL.338.114؛ دارة الملك عبدالعزيز بالرياض، وثيقة عثمانية رقم: ٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وأما من الناحية الغربية وعلى يمين الداخل من باب العنبرية، الذي يقع في السور الخارجي "البراني" وجنوب التكية المصرية مباشرة توجد "القشلة" وهي إحدى التحصينات العسكرية الرئيسية الهامة في المدينة المنورة زمن الحكومة العثمانية(١) وقد مر من عندها بيرتون وذكر أنه على اليمين للداخل من باب العنبرية يوجد صف طويل من مباني منخفضة مطلية باللون الأبيض ولها نوافذ مربعة أشكالها تحاكي الثكنات العسكرية(٢)، وقد حدد موقعها علي بن موسى أفندي بقوله: "فإذا قاربت باب العنبرية الذي هو الباب الفرد في السور البراني يكون ركن قشلة العساكر النظامية السلطانية"(٣)، وتعرف القشلة بثكنة الجيش النظامية أو سكن ومقر العساكر النظامية كما تعرف بثكنة العنبرية(٤)، وتعدّ القشلة مقر ومنتجع الجنود النظاميين للجيش العثماني الموجود في المدينة

(١) يذكر السيد الخياري أن القشلة أصبحت مقر المجمع الحكومي ويشمل على: جهاز إمارة المدينة المنورة، وإدارة المالية، وإدارة الأوقاف، وكتابة العدل، وهيئة الزراعة، وبداخله مسجد بلال؛ صور من الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة، السيد ياسين الخياري، ص٤٤.

(٢) رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ج٢، ٩٦.

(٣) وصف المدينة المنورة سنة ١٣٠٣هـ، ص١٠٦.

(٤) المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ (تاريخ وعمارة الحصون والآطام، والأسوار والأبواب، والقلاع والأبراج)، ص٧٤١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المنورة، كما تعدّ المقر الفرعي للقيادة العسكرية بعد المقر الرئيسي في القلعة السلطانية، ومن الأمور التي تستخدم فيها القشلة العسكرية كونها سكنًا للجنود، وساحة التدريب، ومدرسة التعليم التي يتعلم فيها الجنود الفنون الحربية والدفاعية، هذا بالإضافة إلى اعتبارها مركز القيادة المكلف برعاية شؤون القلاع والأبراج الواقعة في الجهة الجنوبية الغربية سواء المتصلة بسور المدينة أو الخارجة عنه(١).

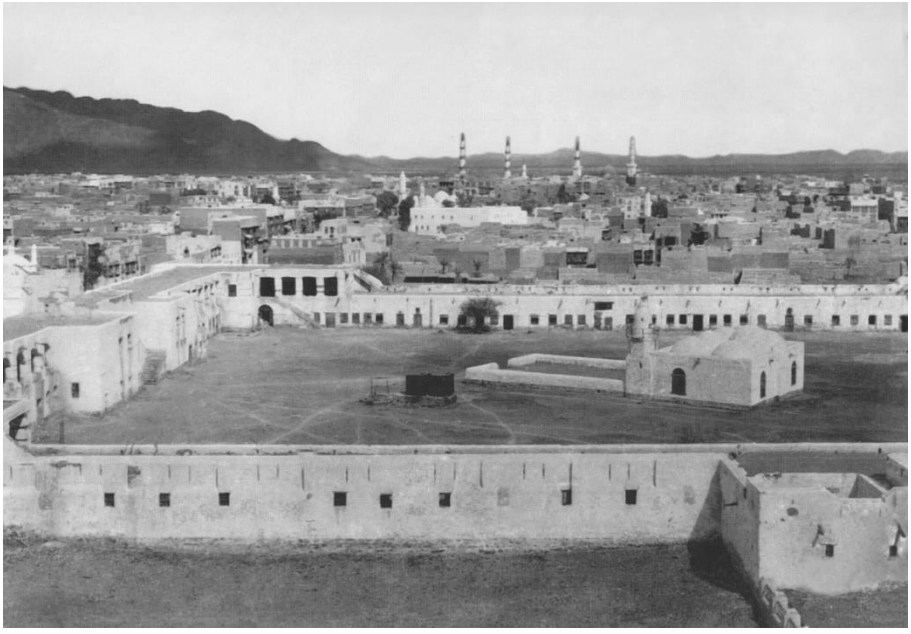

صورة القشلة العسكرية في الجهة الغربية من المسجد النبوي

(١) المرجع السابق، ص٧٤١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أما بالنسبة لتاريخ بناء هذه القشلة العسكرية فلم يحدد إلا أنها كانت موجودة في أثناء عمارة السلطان عبدالحميد الأول لباب العنبرية القديم عام ١١٦٢هـ حيث قام بتجديدها وربطها ببرج كبير يربطها بباب العنبرية الذي قام ببنائه آنذاك(١)، ويصف أحد الباحثين الثكنة المذكورة من الناحية المعمارية ومن خلال المخططات بأن شكلها شبه مربع فطول ضلعها الشمالي من الخارج ١٤٥متراً، وفي هذه الجهة يقع باب الثكنة الرئيس المشرف على باب العنبرية، وطول ضلعها الجنوبي١٤٠متراً، وطول ضلعها الشرقي ١٤٢م، ويبلغ طول ضلعها الغربي قرابة ١٥٣متراً، فهي مربع غير متساوي الأضلاع، ومن الداخل ففيها مجموعة من الغرف المتلاصقة على شكل إطار داخلي يحيط بها من الداخل وعرضها يصل نحو ثمانية أمتار، منها ثلاثة أمتار عبارة عن ممر مغطى يفتح على الفناء الداخلي للثكنة من خلال عقود متساوية نصف دائرية ترتكز على دعائم أو أعمدة متباينة الارتفاع بنيت من الحجر المنحوت على هيئة أسطوانات دائرية الشكل، وترتد الغرف والحجرات الخاصة بالثكنة إلى داخل هذا الممر، حيث تفتح عليه من الداخل عبر أبواب صغيرة لا يزيد عرض

(١) المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ (تاريخ وعمارة الحصون والآطام، والأسوار والأبواب، والقلاع والأبراج)، ص٧٤٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الباب عن ٨٠ سم بارتفاع مترين، معقودة من أعلى بعقود نصف دائرية ولكل منها باب من الخشب السميك الخالي من الزخارف والنقوش ويمكن إنارة هذه الحجرات عبر نافذتين صغيرتين(١).

أما ارتفاع مباني القشلة فهو دور واحد، عدا وجود دور ثاني عند الأبراج التي أقيمت في أركان الثكنة وعلى مدخلها الرئيسي، ويمكن الوصول على أدوارها العليا عبر درج حجري يمتد من داخل الممر المغطى للعقود، وآخر من داخل الفناء المكشوف حيث يتصلان من أعلى منسوب سطح الدور الأرضي، وقد استخدمت هذه الأدوار العليا للحراسة والمراقبة على الدوام(٢).

وبالنسبة لسور القشلة فهو متدرج بين حائطين فالسور الخارجي قصير يبلغ ارتفاعه حوالي أربعة أمتار ونصف المتر تقريباً، أما السور الداخلي والملاصق للسور الخارجي مباشرة فهو أعلى من السابق حيث يزيد ارتفاعه عن خمسة أمتار ونصف، وفتحت نوافذ وفتحات الحجرات الداخلية بين فرق منسوب ارتفاع السورين لكي يصعب الوصول إليها أو كشف ما بداخلها(٣).

(١) المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ (تاريخ وعمارة الحصون والآطام، والأسوار والأبواب، والقلاع والأبراج، ص٧٤٤.

(٢) المرجع السابق، ص٧٤٥.

(٣) المرجع السابق، ص٧٤٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

١- قلعة جبل سلع:

في العهد العثماني أقيمت على قمة جبل سلع عدة أبنية عسكرية مازالت آثارها باقية حتى الآن، وفي عصرنا الحاضر أحاط العمران بالجبل من كل ناحية، وصار جزءاً من حدود المنطقة المركزية للمدينة المنورة.

وقد استثمر العثمانيون هذه الجبال التي عدوها تحصينات طبيعية وهي كذلك، حيث قاموا بإنشاء ثكنات عسكرية وقلاع على قمم الجبال مثل مراكز المراقبة التي على قمة جبل سلع والتي تعد نقطة حراسة للجند وتغطي الجهتين الغربية منها التي تطل على منطقة السبع المساجد، والجهة الشرقية من الجبل والتي تطل على المناخة[١].

(١) معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ، عبدالعزيز كعكي، ج٣، المجلد الثاني تاريخ وعمارة الحصون والآطام والأبواب، القلاع والأبراج، ص٧٣٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٢- قلعة جبل عير:

وهناك القلعة العسكرية العثمانية التي ما زالت آثارها باقية إلى الآن وتقع أعلى جبل عير وهو يعدّ أضخم جبل في الجهة الجنوبية الغربية ذات موقع استراتيجي فهذه المنشأة العسكرية الحربية والتي هي عبارة عن قلاع ومباني حربية وخنادق حراسة وحماية أقيمت في نهاية الوجود العثماني بين عامي ١٣٣٤-١٣٣٧هـ/ ١٩١٥-١٩١٨م، ولأهمية الموقع عسكريـًا من حيث الارتفاع وأيضـًا موقعه الجغرافي فقد استخدم للحراسة والاستطلاع، خاصة أنه يكشف كامل المنطقة الجنوبية والجنوبية الغربية وقد تم بناؤها بحجر الجبل نفسه في بناء حجري غير منتظم ذات أحجام ومقاسات مختلفة وبألوان متعددة بطريقة الرصف الحجري دون استخدام مواد لاصقة ولكن تم الاعتماد على المتانة، وكانت قلاع جبل عير متناثرة على طول الجبل من الأعلى(١) (٢).

(١) فصول من تاريخ المدينة ، على حافظ، ص ٤٦.

(٢) معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ، عبدالعزيز كعكي، ج٣، المجلد الثاني تاريخ وعمارة الحصون والآطام والأبواب، القلاع والأبراج، ص٧٣٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

القلاع والتحصينات على جبل عير

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٣- قلعة جبل أحد:

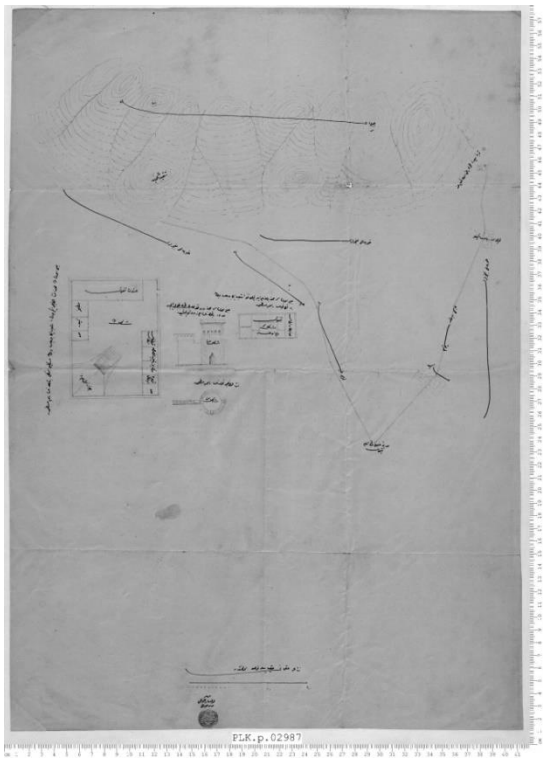

وعلى جبل أحد تم إنشاء قلعة عرفت باسم قلعة "خشم الذيب" وتقع على طرف جبل أحد الجنوبي الغربي وعرفت بهذا الاسم عند أهل المدينة نظراً لبروزه وانحنائه بما يشبه الخشم(١) فقد انفرد تصميم هذه القلعة بشكل هيكلها العمراني الخارجي كونها على طرف جبل، واحتوائها على مجموعة من الغرف انتظمت على الحائط الداخلي للبرج الأكبر وقد أشرفت على الفناء الداخلي من خلال نوافذ وأبواب ذات مقاسات مختلفة.

(١) معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ، عبدالعزيز كعكي، ج٣، المجلد الثاني تاريخ وعمارة الحصون والآطام والأبواب، القلاع والأبراج، ص٧٣٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

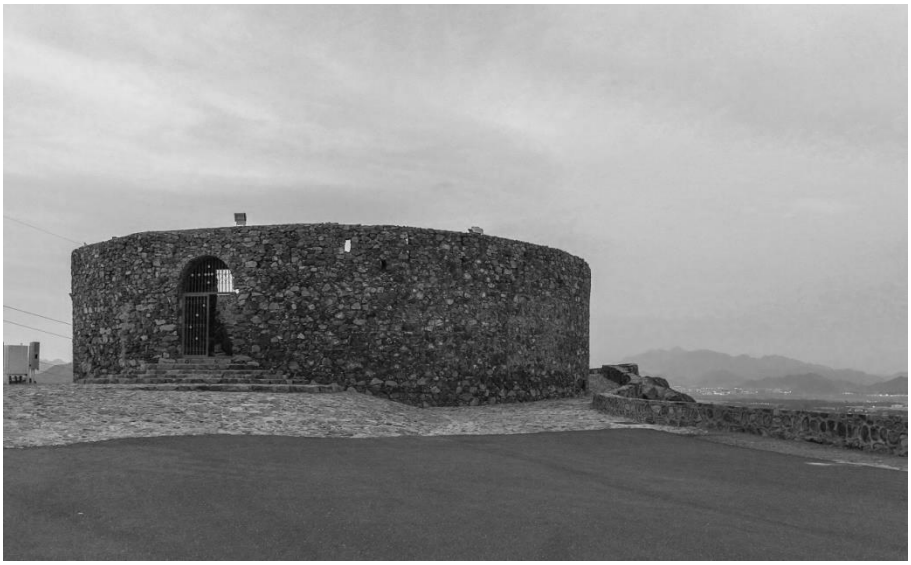

قلعة خشم الذيب على سفح جبل احد

ومن خلال وثيقة عثمانية[١] هي عبارة عن رسم مخطط لقلعة خشم الذيب، يتطابق مخطط الوثيقة الأرشيفي مع وصف البرج في وضعه الحالي الآن الذي يظهر التصميم العام للقلعة على "شكل برجين دائرين متداخلين أحدهما البرج الأكبر وهو الجزء الرئيسي منها ويحتوي على وحدات وغرف القلعة، أما البرج الأصغر فيقع غرب البرج الأكبر ويتداخل معه في التصميم والتكوين ويتصل البرج الأصغر مع البرج الرئيسي من الداخل ومن خلال الدرج الحجري المؤدي إلى أعلى

(١) الأرشيف العثماني تصنيف رقم، PLK.P 02987

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

السطح، أما أسفل الدرج أو ما يعرف بالقبو فيمكن الوصول إليه عبر ممر ضيق لا يزيد عرضه عن متر واحد تقريباً وينحدر هذا الممر بشكل مائل ليصل إلى القبو الأرضي لهذا البرج، ويتكون هذا البرج بشكل عام من جزئين الجزء الأسفل وهو قبو البرج وهو على هيئة حجرة ناقصة الدوران ويعلوه سقفا من الحجر على هيئة قبو منخفض الارتفاع، أما الجزء الثاني من البرج فيتمثل بسطح البرج وهو مشابه لشكل ومسقط القبو الداخلي لهذا البرج"(١)، وهذا يتطابق مع المخطط الذي يظهر فيه التقسيم الداخلي للقلعة الذي يضم عددًا من الغرف المختلفة المقاسات، ودرج داخلي يربط بين البرجين.

رابعاً: الأحوشة:

أما الأحوشة هي المكون للتركيبة العمرانية خاصة خارج السور الداخلي، فقد تميزت المدينة المنورة بهذا النظام وساد في القرن العاشر عندما اضطرت للتمدد خارج السور، كما ظهرت الحاجة إلى نظام

(١) معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ، عبدالعزيز كعكي، ج٣، المجلد الثاني تاريخ وعمارة الحصون والآطام والأبواب، القلاع والأبراج، ص٧١٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

عمراني يوفر الحماية للسكان[١]، ويتكون نظام الحوش من شارع رئيسي مماثل للحارة، تتفرع منه فتحات هي عبارة عن بوابات تفضي إلى فراغ مفتوح يحيط به السكان من جميع الجهات[٢]، وكان لهذا النظام سبب رئيسي هو انعدام الأمن آنذاك، ونظام الأحواش كان يمكّن ساكنيها من الدفاع عن أنفسهم وبيوتهم عند الحاجة وفي الأيام المخوفة يتناوب بعض سكان الحوش على حراسة البوابة لحفظ الأمن والدفاع ضد من يحاول الهجوم على هذه الوحدة السكنية.

وبالعودة إلى نشأة التكوين المعماري الذي تدرج نحو الحماية الذاتية، يستشف من وصف الفيروز أبادي أن التركيبة المعمارية لسكان المدينة المنورة قبل وبعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم تأخذ طابع الحماية الذاتية وكان أهل المدينة قرى متفرقة تحتمي بتصميم عمراني استمر وتطور وأخذ أشكال بتنوع مواد البناء [٣].

وبعد تكون العاصمة الإسلامية في المدينة المنورة خط النبي ﷺ

(١) المدينة المنورة في القرن الرابع عشر الهجري، ص١٩٢.

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر المغانم المطابة في معالم طابة ، مجد الدين الفيروز ابادي، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ط ١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، المدينة المنورة، ج١، ص١٩٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

نظامه العمراني المكون من المركز (المسجد النبوي الشريف)، وتحديد سوق المدينة، وكانت المدينة المنورة طيلة عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الثلاثة من بعده عاصمة الدولة الإسلامية ويقيم فيها الخليفة ويتولى شئونها بنفسه أثناء وجوده أما في حالة السفر فإنه ينيب عليها من يتولى شئونها ، حتى نقل مقر الخلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الكوفة لظروف تلك الفترة .

اكتسبت المدينة مكانة دينية بين الناس لورود كثير من الأحاديث التي تُرغب الناس في السكنى فيها وأيضاً لفضلها فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»(١)

لذلك حرص كثير من الزائرين للمدينة المنورة على مر التاريخ السكنى فيها فأتوا إليها من كل أقطار الأرض فكونوا نسيجاً عمرانياً كان سبباً في أن جعل لها طابعاً معمارياً خاصاً أثر تقسيماتها الجغرافية وحيزها المكاني حتى أصبح لها ذلك النسيج العمراني المعروف باسم "الحوش".

(١) صحيح البخاري، باب من غب المدينة ، رقم الحديث ١٨٧٥، ج٣، ص ٢١..

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والمقصود بالحوش في المدينة المنورة هو ذلك النمط المعماري الذي يحوي تجمعاً سكانياً وهو الأحوشة، وهذه الأحوشة سمة سكانية معمارية خاصة بأهل المدينة، وإن أول من ذكر اسم الحوش بالمدينة هو صاحب كتاب "وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى" السيد السمهودي الذي عاش في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، وأكثر من ذكرها بإسهاب وتفصيل الكاتب على بن موسى الأفندي في رسالته التي نشرت سنة ١٣٠٣ه بعنوان "وصف المدينة ".

وأصبح لفظ الحوش دارجاً عند أهل المدينة أو عند كل من زار المدينة من الرحالة أمثال بريكهارت، وبيرتون، وليون روش، ومحمد صادق أفندي، واللواء إبراهيم رفعت باشا وغيرهم كثير.

أما وصف الأحوشة فهي مجموعة من المساكن تحيط بساحة مفتوحة يمكن التحكم فيها عن طريق بوابة تفضي إلى فراغ مفتوح تحيط به المساكن من جميع الجهات، ويذكر أن جميع الأحوشة كانت تغلق مساء إلى أذان الفجر وهذه العزلة في الحارة جعلت الترابط بين سكان الحوش الواحد قوية .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فقد ذكر علي بن موسى أفندي أن عدد ما يقارب ٢٥ حوشاً في رسالته عام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م [١]، أما محمد حسين زيدان فقد ذكر ٣١ حوشاً[٢]، ولكن حسب المصادر التاريخية ووفق ما جاء في هيئة المساحة المصرية ووفق ما ورد في الصكوك والوثائق والخرائط فقد فاقت ٧٠ حوشاً[٣].

***

(١) انظر: وصف المدينة المنورة سنة١٣٠٣هـ، علي بن موسى المدني، تحقيق عادل ابو العباس، ط١، (المدينة المنورة: مكتبة الثقافة، ١٤٢٦هـ).

(٢) انظر: ذكريات العهود الثلاثة ، محمد حسين زيدان، ط١٤٠٨ , ١/ ١٩٨٨هـ.

(٣) خريطة مساحية للمدينة المنورة.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

خريطة من هيئة المساحة المصرية للمدينة المنورة مطلع العهد السعودي

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

خريطة لأحوشة المدينة من إصدارات مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ورغم تكرار اسمائها وترددي في كتابتها إلا أني آثرت كتابتها حتى لا تندثر أسماؤها كما اندثرت معالمها مع تعاقب الأجيال، وبالجمع من بين ما ذكر في المصادر والخرائط عن أسماء أحوشة المدينة المنورة نستعرض التالي:

١- حوش الأشراف.

٢- حوش التاجوري: جنوب الحرم

٣- حوش سنان: أو شنان العنبرية.

٤- حوش معيركة:

٥- حوش الراعي: وكان اسمه حوش الردادي يقع في شارع العنبرية كان ملاصقاً للتكية المصرية وتبقى منه جزء بسيط حاليا، مجاور لحوش أبي ذراع من جهة الغرب ، وهو آخر حوش يقع على نهاية شارع العنبرية من الجهة الغربية ، ويفصله مبنى التكية المصرية عن شارع العنبرية .

٦- حوش أبو جنب: حوش صغير على شارع العنبرية وهو من أحواش النسيج العمراني الجنوبي الغربي

٧- حوش أبو ذراع: بالعنبرية، وهو من أكبر أحواش المدينة المنورة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قديمـًا، ويقع في أعلى شارع باب العنبرية من جهة الغرب ، وله باب واحد يصله بشارع باب العنبرية

٨- حوش أبو جمر: العنبرية.

٩- حوش مناع: العنبرية، من أحواش النسيج العمراني الجنوبي الغربي

١٠- حوش عميرة: العنبرية، ويقع في الجنوب الغربي

١١- حوش التركي: شمال شرق كتَّاب سيدي مالك.

١٢- حوش الجمال.

١٣- حوش الخازندار.

١٤- حوش الخياري: بالعنبرية !!! و يقال إنه (الشريف)

١٥- حوش الزرندي:

١٦- حوش السيد: أمام حوش خميس، باب الكومة. في النسيج العمراني الغربي

١٧- حوش القايدي: جوار حوش النزهات.

١٨- حوش المرزوقي: خلف كتَّاب سيدي مالك.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

١٩- حوش المسيوفي.

٢٠- حوش الذاربة: يقع مقابل حوش ميرمة من جهة الغرب ويصل بينهما زقاق السلطان

٢١- حوش المغربي: زقاق الطيار.

٢٢- حوش المغاربة: ويقع مقابل حوش ميرمة من جهة الغرب ويصل بينهما زقاق السلطان.

٢٣- حوش النزهات.

٢٤- حوش النورة: أمام نهاية شارع باب السلام سابقاً (الصافية).

٢٥- حوش طوطو.

٢٦- حوش علي خضره: أمام حوش خميس من الجهة الجنوبية، باب الكومة.

٢٧- حوش فواز: في الساحة

٢٨- حوش كبريت. سوق القماشة.

٢٩- حوش منصور: ويقع في الجنوب

٣٠- حوش أبو شوشة: بالسيح وهو من أحواش النسيج العمراني الغربي.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٣١- حوش ميرمة: حوش صغير يقع في المنطقة التي بين السيح و باب العنبرية.

٣٢- حوش الجوهري: جنوب المدينة المنورة

٣٣- حوش التكارنة: في النسيج العمراني الجنوبي الغربي

٣٤- حوش الهاشمية: من شارع العنبرية، من أجزاء النسيج العمراني الجنوبي الغربي

٣٥- حوش درج.

٣٦- حوش لصبيحي: في زقاق الطيار

٣٧- حوش هتيم.

٣٨- حوش السمان.

٣٩- حوش مسعود.

٤٠- حوش سكر.

٤١- حوش ام الورد.

٤٢- حوش شمسيه.

٤٣- حوش فاروق.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٤٤- حوش ذنيب كلب.

٤٥- حوش العبيد.

٤٦- حوش النوره.

٤٧- حوش الجمال.

٤٨- حوش الرشيدي: يقع خارج السور في الشمال الغربي على الحزم دون سلع.

٤٩- حوش القشاشي: يقع خارج السور في الشمال الغربي على الحزم دون سلع.

٥٠- حوش خميس: باب الكومة، يقع خارج السور في الشمال الغربي على الحزم دون سلع.

٥١- حوش الصديقي: يقع خارج السور في الشمال الغربي على الحزم دون سلع

٥٢- حوش السيد(النخاوله): يقع خارج السور في الشمال الغربي على الحزم دون سلع.

٥٣- حوش مياش أو كره باش: زقاق الطيار.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٥٤- حوش خيرالله: زقاق الطيار.

٥٥- حوش قمر: زقاق الطيار.

٥٦- حوش الجربي: زقاق الطيار.

٥٧- حوش وردة: زقاق الطيار.

٥٨- حوش الرشايدة: زقاق الطيار.

٥٩- حوش شلبية: زقاق الطيار.

٦٠- حوش السمان: زقاق الطيار.

٦١- حوش فسيح: زقاق الطيار.

٦٢- حوش العريضة: زقاق الطيار.

٦٣- حوش القماش: زقاق الطيار.

٦٤- حوش منصور: جنوب المدينة.

٦٥- حوش المراكشية: جنوب المدينة.

٦٦- حوش المحمودية: جنوب المدينة.

٦٧- حوش الطيبية: جنوب المدينة.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٦٨- حوش الجديدة: جنوب المدينة.

٦٩- حوش التاجورية: جنوب المدينة.

٧٠- حوش التاجور: جنوب المدينة.

٧١- حوش البربورية: جنوب المدينة.

وظلت بعض هذه الأحواش إلى عهد قريب حتى بدأت الحاجة لتوسعة الحرم النبوي الشريف في عام ١٤١١هـ حيث أزيل جزء كبير من المنطقة بما فيها الأحواش.

***

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الخاتمة :

من خلال ما سبق نجد أن جغرافية المدينة المنورة كان لها ارتباط مباشر وغير مباشر بتاريخها بل وبالسيرة النبوية فنجد جبل أحد، وجبل سلع، وجبل عير، وأودية المدينة مثل وادي بطحان ووادي قناة ووادي العقيق ووادي الرانوناء ووادي مذينيب ومجمع الأسيال، كذلك نجد الحرات التي تحيط بالمدينة المنورة أعطت سمة تحصينية متنوعة، ومن خلال هذه التحصينات الجغرافية تم تعزيزها بحصون ذات طابع إنشائي خاصة على الجبال وسفوحها.

أما أسوار المدينة المنورة التي ظلت تقاوم عوامل التغيير. والتي حدت من مساحة التكتل السكاني المحيط بالمسجد النبوي، مما حدى بإنشاء سور ثاني، فكان لها تأثير اجتماعي خاصة أن حدود المدينة المنورة كحد حرم أوسع بأضعاف من حدودها المحصورة داخل السورين.

وأما أزقة وأحوشة المدينة المنورة وتخطيطها العمراني الذي أعطى سمة خاصة لها وقد استمرت هذه البنية التركيبية الى مطلع العهد السعودي، وعندما جاء عهد النهضة والبناء وأخذت المدينة المنورة تتسع وتتجه نحو التمدد بدأت الأحوشة تختفي شيئًا فشيئًا حتى كانت توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود رحمه الله

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

التي شملت أغلب المنطقة المركزية، وأصبحت بعض القلاع والحصون المتبقية تحت اهتمام الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني.

وختامًا أقول: إن الكمال لله وحده، فما كان في هذا البحث من كمال وسداد فمن الله، وما كان من نقص واعوجاج فمني، فالله أرجوا أن يجبر كسري ويرحم ضعفي.

***

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ملحق الوثائق:

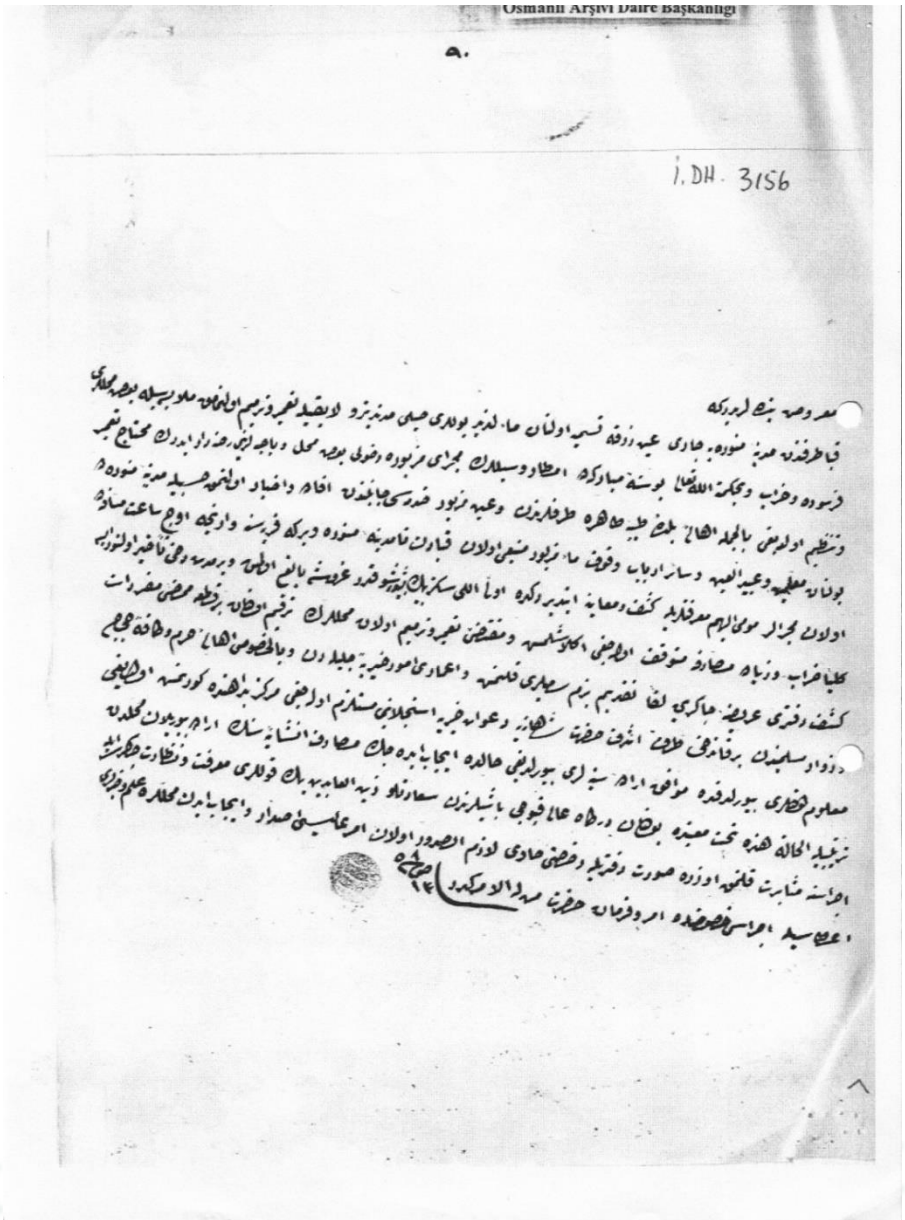

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ملخص الوثيقة:

وثيقة مؤرخة في ١٢ صفر ١٢٥٨هـ بخصوص قلعة المدينة المنورة التي يقيم فيها عدد من جنود المدفعية للخراب بسبب التدمير أثناء التدريب وكذلك بسبب السيل.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ملخص الوثيقة :

وثيقة مؤرخة في ١٢ رجب ١٢٦٣هـ وهي مكاتبة من والي جدة إلى قائم مقام المدينة المنورة بخصوص تسوية مبالغ مالية مقدارها ١٦٠٠ قرش من أجل ترميم قلعة المدينة المنورة وانشاء بعض المباني الجديدة فيها .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

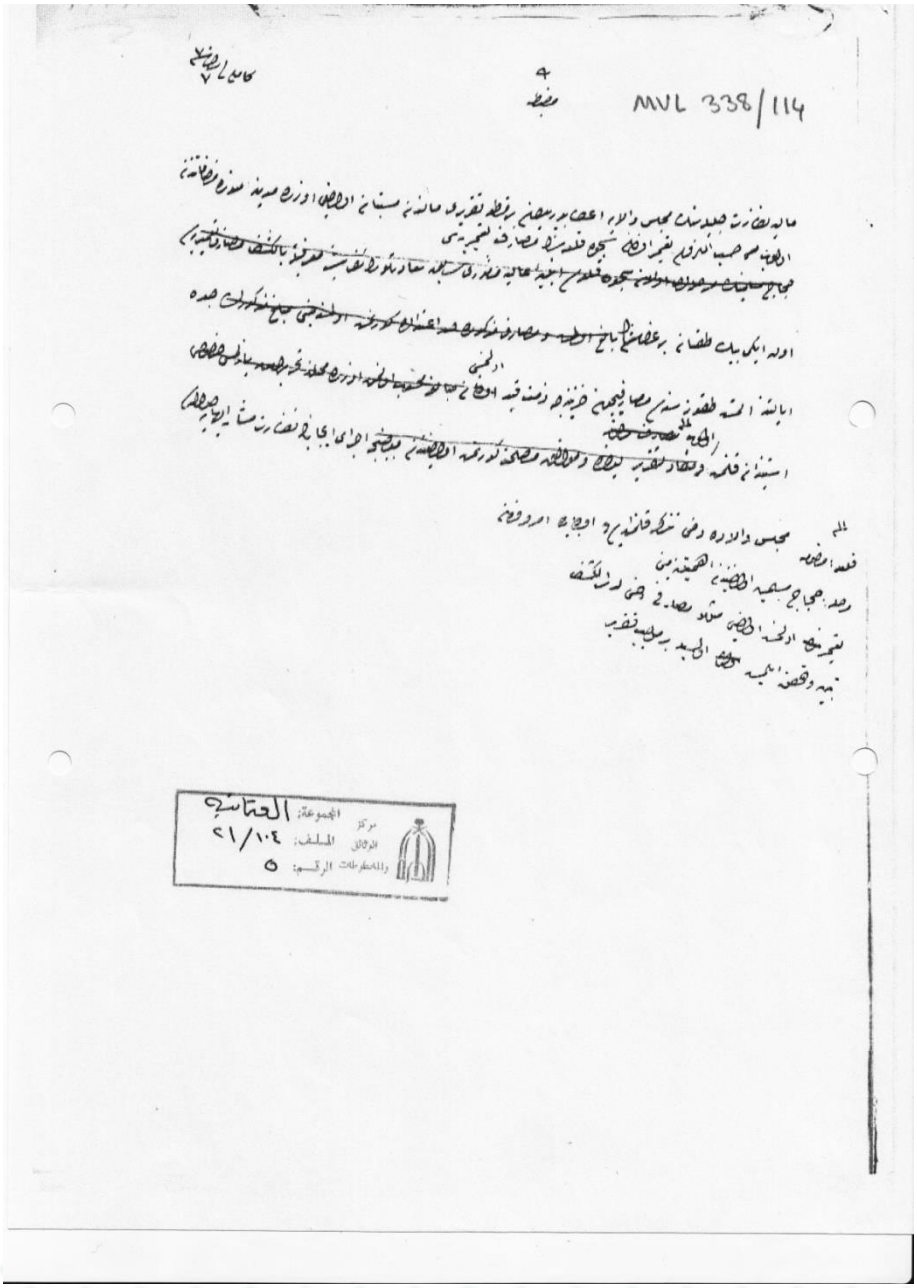

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ملخص الوثيقة:

وثيقة مؤرخة في ٧ ربيع الأول ١٢٧٠هـ تتضمن تسوية المبلغ المطلوب من أجل ترميم إحدى القلاع المضافة إلى المدينة المنورة من ميزانية جدة.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فهرس المصادر والمراجع

الوثائق الأرشيفية :

١- الأرشيف العثماني تصنيف رقم، PLK.P 02987

٢- الأرشيف العثماني تصنيف رقم، I. MVL. 230.15764.

٣- الأرشيف العثماني تصنيف رقم، I.DAH.3156.

٤- الأرشيف العثماني تصنيف رقم، I.DAH.7810.

٥- الأرشيف العثماني تصنيف رقم، I.M.VL.338.114.

المصادر والمراجع:

١- المدينة المنورة أول بلدة في بلاد الإسلام، صدقة خاشقجي ومحمد النمر، (جدة: مطابع سحر).

٢- معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ، عبدالعزيز كعكي، ج١، المعالم الطبيعية، المجلد الأول الجبال.

٣- كتاب المغازي للواقدي، محمد بن عمر بن واقد، تحقيق مرسدن جونس، ط١، (بيروت: عالم الكتاب للطباعة والنشر، ١٤٢٧هـ).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٤- المدينة المنورة اقتصاديات المكان-السكان -المورفولوجيا، عمر الفاروق السيد رجب، ط١، (جدة: الناشر دار الشروق ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

٥- صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير ناصر الناصر، ط١، (دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ).

٦- فصول من تاريخ المدينة ، علي حافظ.

٧- الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين ﷺ، ط٤، (جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)

٨- صحيح مسلم، كتاب الحج، باب الترغيب في فتح الأمصار، رقم الحديث(١٣٨٨)، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

٩- أخبار المدينة المنورة، ابن النجار.

١٠- آثارة المدينة المنورة، عبدالقدوس الأنصاري، ط٢، (المدينة المنورة: المكتبة العلمية، ١٣٧٨هـ).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

١١- شرح معاني الآثار، أبو جعفر الطحاوي، تحقيق محمد زهري النجار، عالم الكتب، ١٤١٤هـ، ط ١.

١٢- فتوح البلدان، البلاذري، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م).

١٣- الروض الأنف السهلي.

١٤- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ﷺ، نور الدين علي بن عبدالله الحسني السمهودي (ت ٩١١هـ)، تحقيق محمد نظام الدين الفتيح، ط١، (المدينة المنورة : دار الزمان، ١٤٢٩ه).

١٥- تاريخ أمراء المدينة المنورة.

١٦- موسوعة مرآة الحرمين وجزيرة العرب، أيوب صبري باشا، ترجمة محمد حرب، ط١، (القاهرة: دار الآفاق، القاهرة، ١٤٢٤هـ).

١٧- المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري، صالح لمعي مصطفى، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨١م).

١٨- أسوار المدينة المنورة في التاريخ، احمد محمد شعبان، (مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، محرم ١٤٢٦هـ العدد رقم ١٢).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

١٩- ألفاظ المقادير في العربية دراسة في البنية والدلالة، شيرين ثابت حسني عبدالجواد، (رسالة ماجستير غيرمنشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠١٢م).

٢٠- رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، جون لويس بيركهارت، ط٢، (بيروت: الانتشار العربي، ٢٠١٣م).

٢١- نزهة الناظرين في مسجد الأولين والآخرين، جعفر بن السيد إسماعيل المدني البرزنجي، تحقيق أحمد سعيد بن سلم.

٢٢- رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ريشتارد فرانسيس بيرتون، ترجمة وتحقيق، عبدالرحمن عبدالله الشيخ، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م).

٢٣- عمران المدينة المنوة وخططها في النصف الثاني من القرن الثالث عشر التاسع عشر الميلادي دراسة حضارية (١٢٥٠-١٣٠٠هـ/ ١٨٣٤-١٨٨٢م)، مها بنت سعيد سعد اليزيدي، ط١، (المدينة المنورة: كرسي الملك سلمان لدراسات تاريخ المدينة المنورة، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٢٤- المعجم الجامع في المصطلحات العثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية والأيوبية والمملوكية، حسان حلاق، عباس صباغ، ط١، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٤٣٠هـ).

٢٥- وصف المدينة المنورة سنة١٣٠٣هـ، علي بن موسى المدني، تحقيق عادل أبو العباس، ط١، (المدينة المنورة: مكتبة الثقافة، ١٤٢٦هـ).

٢٦- صور من الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة منذ بداية القرن الرابع عشر الهجري وحتى العقد الثامن منه، ط٣، (جدة: دار العلم، ١٤١٥هـ).

***

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة